الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

بين التعليم والثقافة

تناولت « مشكلة القراءة » في عدد مضى من « الرسالة » فنظرت في أهم أسبابها ، وهو طريقة التعليم عندنا وملابساته ، من حيث المناهج المزدحمة والامتحانات التي تتجه إلى الذاكرة ولا تكاد تهتم بالإدراك ، وإرهاق التلاميذ والمدرسين ، فكل ذلك كما قلت « يبغض في الكتاب ، إذ لا يكاد التلميذ ينتهي من (سخرة) الامتحان حتى يلقي بالكتب وهو يشعر بالسعادة لتخلصه منها ، وبغضه للكتاب المدرسي يجره إلى بغض جنس الكتاب ، فلا مكان إذن لحب القراءة من نفسه »

قلت ذلك ، وقلت أيضاً « من أكبر الخطر أن المشكلة واقعة أيضاً بين المدرسين أنفسهم .. أولئك الذين يرجى منهم أن يبثوا حب القراءة والاطلاع في نفوس الطلاب ، لأنهم أيضاً ضحية هذا النظام المدرسي ... الخ » [١] وحين قلت هذا وذاك لم تكن تغيب عني جهود الرجل العظيم طه حسين في وزارة المعارف التي يبذلها في تيسير التعليم وتعميمه وإنصاف المعلمين وبعث الطمأنينة في نفوسهم . والحق أنني كلما تناولت مشكلة ثقافية لأكشف عن نواحي التقصير فيها يخالجني شعور الإشفاق على ذلك الرجل لما ينهض به من أعباء أثقلها الإهمال والتواني في الزمن الماضي ، وأشعر في الوقت نفسه أن تلك المسائل الثقافية غير خافية عليه ،

[١] العدد ٩٠١ من الرسالة

ومن المؤسف أن تجمع الذاكرة بين وزيرين مصريين ثم تسهو عن ذكر أحدهما لتثبت ذكر الآخر ، في مجال يقتضي أن يحل الوزير المقصود بالذكر محل صاحبه الذي ورد اسمه في الحديث وأعني به محب باشا . أما ذلك الوزير المصري الذي كان يجب إثبات اسمه في معرض العطف على شاعر النيل حافظ ابراهيم ، فهو حشمت باشا وليس محمد محب ! فإلى القراء أولا والتاريخ ثانيا أقدم أخلص الأسف وأعمق الاعتذار .

أنور المعداوي

ولعله يتحين لها الفرصة بعد الفراغ من إنصاف المظلومين وإتاحة فرص التعليم لجميع المواطنين . وقد لمحت بارقة من ذلك في خطبته التي تحدث بها إلى المعلمين في الحفلة التي كرمهم بها في الوزارة ، إذ قال إنه يود أن يرى المعلم ينتفع بالعلم قبل الطلاب . ثم راعني هذا الغيث الذي انهمر في حديثه إلى مندوب الأهرام الأستاذ محمود العزب موسى الذي أثار كامن نفسه عندما سأله عما أعده من مشروعات للنهوض بالتعليم بعد الفراغ من التوسع في قبول التلاميذ والتوسعة على رجال التعليم . وقد كان الأستاذ العزب موفقا كل التوفيق في هذه الإثارة التي حدد نقطها ، وكان منها « قصة الامتحانات ومستقبل الثقافة في البلاد »

لقد كان الحديث حديث أستاذنا وزميلنا الأديب الناقد الدكتور طه حسين بك .. إذ حمل على ما تتبعه وزارة المعارف من سخافة في الامتحانات وما تجترحه بذلك من تبغيض المتعلمين وتنفيرهم من العلم والتعليم ، قال ، بعد أن بين ما يلاقيه من جهد في فحص المظالم وإلقاء الآلاف من المظلومين وأصحاب الحاجات ، وبعد أن ذكر ما أخذ فيه من تيسير المناهج لتكون أو في إلى عقول التلاميذ وقلوبهم : وفكر في محنة الامتحان ، فسترى أنها العلة التي لا يستقيم معها التعليم ولابد من أن نصل إلى علاج مصر منها ، فالتلاميذ يتعلمون ليمتحنوا آخر العام ، والأساتذة يعلمون لينجح تلاميذهم في آخر العام ، ويصبح الامتحان هو الغاية الأولى التي أنشئت المدارس والمعاهد من أجلها .. وما أعرف أن بلدا وصل من السخف إلى مثل ما وصلنا إليه في أمر الامتحانات . امتحانات النقل يشقى بها التلميذ من أول يوم في العام الدراسي : أسرته تشعره دائما بأن عليه أن ينجح ، وأستاذه يشعره دائما بأن عليه أن ينجح ، فيشغله النجاح عن فقه ما يلقى إليه من الدرس ، ويمنى بذاكرته ، ويعطي عقله وقلبه إجازة أثناء العام الدراسي » وقال : « والامتحان العام نفسه نقدم عليه كأنما نقدم على عمل مقدس يجب أن نعد له عدته ، في نفوسنا ، وفي مظاهر حياتنا نفسها ، ثم نعقده تعقيدا لا حد له » ثم رد على من يظنون أن تعقيد الامتحان هو الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى التعليم بقوله : « فتعقيد الامتحان إن أدى إلى شيء فإنما يؤدي إلى تكوين المواطن الآلي الذي لا يفكر ولا يتعمق ، وإنما يحفظ ما يلقى عليه ، ثم يؤديه كما حفظه ، ثم ينجح فيصبح مواطنا عقيما ، أو يرسب فيصبح كلا على الدوسة ، فإن اطرد رسوبه أصبح كلا على الشعب . إن الذين

[٢] أهرام الخميس ٢٦ أكتوبر

يريدون أن يرفعوا مستوى التعليم حقا ، يجب أن يحببوه إلى التلاميذ لا أن يبغضوه إليهم إن كنت تريد أن ترفع مستوى التعليم فاجعل أموره ميسرة ، يقبل عليها التلاميذ عن حب لها ورغبة فيها ، ويجدون الوحشة حين ينصرفون عنها فى الإجازات . كل هذه أمور لابد من التفكير فيها والفراغ لها ، وقد فرغت لبعضها ، وأرجو أن يتاح لى تحقيق ما أريد منها »

وهكذا نجد الرجل مشغولا بما كنا نمسك عن مواجهته به ومطالبته بتحقيقه ، يثارا للاصطبار والانتظار ، والواقع أن مساعيه جند الجنود وحشد الحشود ووزع الأعطيات ونظم الأرزاق ، ولكن بقى (التكتيك) بقى أن يوجه التعليم إلى غايته ، بقى أن يوفق بين التعليم وبين الثقافة ، وينهى الخصام الذى لا يزال قائما بينهما فى عقول « المتعلمين » ولست أدرى ما فائدة التعليم إذا لم يفتح أبواب المعرفة أمام المتعلم ويغرس فى نفسه حب التزود ومداومة الاطلاع .

لقد أفسدت الطريقة الآلية فى التعليم ، هذا الجيل ، وجعلت التعليم المدرسى غاية فى ذاته ، فلم يتخذ - كما ينبغى - سببا إلى التثقيف الذاتى الذى يأخذ به المتعلم نفسه ويكمل نقصه ، فيشعر أنه طول عمره محتاج إلى وجبات الثقافة كما هو محتاج إلى وجبات الطعام . وإنه ليعييك البحث عن المثقفين الحقيقيين بين « المتعلمين » الذين اجتازوا الامتحانات وظفروا بالشهادات ، إذ لا تجد من أولئك غير أفراد بهم مناعة ضد آلية التعليم مثل المثقفين فى مصر كمثل الفرق الرياضية فيها ، قلة ممتازة تفصلها عن الكثرة الغالبة هوة بعيدة القرار .

لقد ضاع جزء كبير من أعمارنا فى حفظ أشياء لا قيمة لها ، ولقد سخروا عقولنا فى مواد لم تجد لها أى أثر فى حياتنا بعد التخرج ، ولقد كان بعضنا لها داعيا إلى تعمد نسيانها بعد .. ويقولون إن الطالب فى مصر يحصل على ورقة الطلاق من العلم بحصوله على الشهادة ، ومن الإنصاف أن يقال أيضاً : بعض المتعلمين يحصل على ورقة الطلاق من السخافات بفكاكه من التعليم المدرسى ..

والتعليم عندنا يفترض فى كل إنسان قوة الحفظ ويفرض عليه أن يحفظ ، فإن كان كذلك حفظ ووعى ما تغتلى به المناهج من سخافات ، برز وتقدم ونال أعلى الدرجات وأكبر التقديرات ، وفضل فى الوظائف وأرسل فى البعثات . وتكون النتيجة أن يلى الأمور هؤلاء الآليون .

حكايات الأسبوع

□ أبحر من ميناء الاسكندرية يوم الاثنين الماضى معالى الدكتور طه حسين بك وزير المعارف قاصدا إلى إسبانيا ، لافتتاح معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، وسيقصد معاليه فى منتصف نوفمبر إلى لندن تلبية لدعوة وزير المعارف هناك ودعوة المجلس البريطانى ، لزيارة انجلترا .

□ يتبادر إلى بعض الأذهان أن الغرض من المعهد السابق الذكر تدريس العلوم الدينية هناك ، والواقع أن المقصود منه دراسة الآثار والفنون والآداب الأندلسية باسبانيا ، وسيكون طلبته من الخريجين المصريين الذين يبعثون إليه ، إلى من يرغب فى الانضمام إليهم من إسبانيا .

□ تحدث سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر الجديد فى الباكستان إلى مندوب الأهرام ، فقال إنه سيعنى بمسألة تبادل الأساتذة والطلبة بين البلدين وبمضاعفة نشر الكتب العربية فى الباكستان وهى متعطشة إليها كثيرا ، وقال إنه تحدث مع رفعة رئيس الوزراء فى إلغاء القيود المفروضة على تصدير الكتب من مصر الى البلاد العربية والاسلامية على السواء .

□ برنامج اليوم فى الإذاعة العربية من كراتشى كما يلى : التعليق على الأخبار . امنى الهوا يبجي سوا . ظلموني العواذل . وحوى وحوى ومثل هذا سائر الأيام . فهل أنشأت الباكستان إذاعتها العربية لمثل هذا؟!

□ كان الأستاذ محمد مصطفى حمام يسير مع الشاعر الفكه المرحوم حسين شفيق المصرى ، وينشده قصيدة لإيليا أبى ماضى ، وكلما أنشد بيتا عارضه شفيق بمثله على طريقته الفكاهية ، فيروى حمام لإيليا مثلا :

أحكم الناس فى الحياة أناس عللوها فأحسنوا التعليلا

فيقول شفيق :

أوكل الناس فى الحياة أناس خللوه فأحسنوا التخليلا

ثم انتقل حمام إلى مدح شفيق مرتجلا ، إلى أن قال :

أنا لا أوليك حمدا أنا لا أحصى ثناءك

وكانا قد بلغا منزل شفيق فى وقت متأخر من الليل ، فرد عليه قائلا :

وأنا نعسان جدا أسعد الله مساءك

ولقد سافر أولئك المبعوثون وجاؤوا ، لم يفيدوا شيئا ، لأنهم ذهبوا بعقولهم الآلية وعادوا بها . حفظوا شيئا هناك لمجرد الحفظ ، فلم يتفهموا به فى بحث ومقارنة وتعمق . وهانحن أولاء مازلنا نشكو من عقم التعليم على الرغم من كثرة من أرفدنا إلى أوربا لدراسة التربية والتعليم !

إن العلة كلها تنحصر فى البرزخ الكائن بين التعليم المدرسى وبين الثقافة العامة . واليوم الذى يزال فيه هذا البرزخ هو اليوم الذى يقال فيه إن التعليم يؤتى ثمراته ويؤدى إلى غايته .

الى فضيلة شيخ الأزهر :

لم تنقطع عنى رسائل طلبة الأزهر منذ كتبت فى موضوع الكتب التى تدرس فى الأزهر ، وهى تدور حول الرغبة فى مواصلة الكتابة فى هذا الموضوع والإهابة بالمسئولين أن يهتموا بإصلاح هذه الناحية فى الدراسة الأزهرية ، ويحسن بعضهم الظن أو يقوى أمله فى أن يصنع كل شىء وفق ما يكتب الكاتبون .

والآن وقد تولى مشيخة الأزهر شيخ جديد هو فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم ، فطبيعى أن تتجه إليه الآمال لينتقل بالأزهر خطوة جديدة فى سبيل تأدية رسالته ، وهذا هو الطالب الأديب « عبد الصبور السيد المندور بالمعهد الدينى بشبين الكوم » يرجو أن يفسح له ليطل من « الرسالة » على الشيخ الأكبر ، يقول :

« سيدى شيخ الأزهر — لقد استبشرنا باختيارك لنا ، فرحبا بمقدمك ، وأهلا بمهدك الذى نرجو الله أن يجعله ميمونا سعيدا على الإسلام والأزهر . نتوجه إلى فضيلتكم فنضع بين يديكم ما يأتى :

١ — لقد وعدنا الجميع بإزالة الكتب المقررة على المعاهد الدينية ، لعدم صلاحها مطلقا وإبدال أخرى بها تكون ملائمة للعصر الذى نعيش فيه ، فهل ستبحث فضيلتكم هذا الموضوع الشائك الذى من أجله شرد الكثيرون وبحت أصوات الباقين ؟

٢ — لقد آمنت وزارة المعارف بالحكمة القائلة « العقل السليم فى الجسم السليم » فأمرت بصرف الغذاء لجميع طلبتها أفلا تأمرون بصرف الغذاء لأبنائكم ؟

٣ — لماذا يتسلم أبناء وزارة المعارف كتبهم المقررة والأدبية ونحرم نحن طلبة الأزهر ذلك ؟ ألسنا من أبناء الأمة ؟ ألم يصبح التعليم كله بالمجان ؟ فلم هذا الفارق ؟

نسأل الله تعالى أن يجعل نجاتنا على يديكم بعد أن أشرفنا على الغرق وإنا لمنتظرون »

ونحن نستبشر بما صرح به فضيلة الأستاذ الأكبر للصحفيين من أنه معنى بدراسة كتب المتقدمين والاستغناء بها عن بعض كتب المتأخرين ، على ما فى هذا التصريح من تحفظ قد يقتضيه المنصب الكبير ، ونعده مقدمة لخير كثير نرجو أن نعتبره المرحلة الثالثة فى إصلاح الأزهر بعد المرحلتين اللتين تمتا على يدى الإمامين عبده والمراغى ، كما سبق أن أوضحنا

ولاشك أن الاستغناء بكتب المتقدمين الموضوعية البليغة عن كتب المتأخرين الشكلية المعقدة ، أمر مفيد ، وهو واجب لربط الثقافة الأزهرية والإسلامية على العموم بما فيها ولكن هناك التأليف بأسلوب العصر والتطبيق على مسائل العصر ، فقد أصبح مما يعرفه الجميع أن أساس التعليم — على اختلاف أنواعه — الملاءمة بين ثقافة المتعلم وبين حاجات عصره .

وهذا يستلزم أن يكون التأليف الجديد أهم ما نعتمد عليه الدراسة فى الأزهر وخاصة فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، فالنهضة التى ينتظرها الأزهر أو ينتظرها الناس من الأزهر فى الوقت الحاضر ، تنحصر فى كلمة واحدة هى « التأليف »

ذكرى الزين :

يظهر هذا العدد من « الرسالة » فى يوم الذكرى الثالثة للمغفور له الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين .

ولقد كان الزين شاعرا كبيرا من شعراء العربية البرزين فى هذا العصر ، قرأ له الناس قصائد ممتعة فى الأهرام والرسالة والثقافة ، وكان رحمه الله قد جمع شعره فى ديوان مخطوط ، على عزيمة أن يطبعه فى الفرصة المواتية . وتوفى قبل أن تواتيه هذه الفرصة . وقررت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، طبع ديوان الزين ، على أن تقوم بنفقاته وتخصص عن ما يباع منه لليتيم الذى تركه الفقيد .

وها قد مضت سنوات ولم يخرج الديوان .. لماذا ؟ لأن اللجنة لا تزال تطلبه ممن هو عنده . فهل فقدنا الزين وفقدنا ديوانه ؟!

أكتفى اليوم بتحية طيبة أبعث بها إلى روح فقيدنا الكبير فى يوم ذكراه . وفى الأسبوع القادم إن شاء الله قصة ديوانه الذى يوشك أن يلحق به ...

عباس خضر